

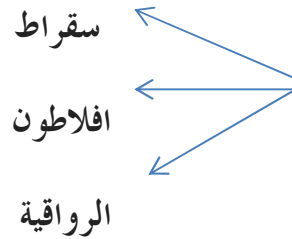
الدكتورة : شهناز سمية بن الموفق .
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية -قسنطينة-الجزائر
قسم العقيدة ومقارنة الاديان.

السنة أولى ماستر - مقارنة الأديان -
مقياس : الفكر الديني المسيحي

محاضرات في الفكر الديني المسيحي

موجهة لطلبة السنة أولى ماستر - مقارنة الأديان -

1- الفلسفة اليونانية الرومانية:



الفلسفة الرواقية Stoicism :

إن من يدرس تعاليم هذه الفلسفة يلاحظ ولا شك أهميتها الكبيرة في علاقتها بالمسيحية بل لعلها أهم فلسفة اتصلت المسيحية بها في عصورها الأولى.¹

ومؤسس هذه الفلسفة هو الفيلسوف زينو Zeno الذي عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الميلاد. ورغم أن هذه الفلسفة رسمت خطوطها العريضة ونمت في أثينا ببلاد اليونان إلا أنها ازدهرت في روما بوجه خاص حيث نادي بها سينكا الفيلسوف الذي مات عام 15م والإمبراطور الروماني ماركس أوريليوس (131- 180م) وكانت هذه الفلسفة منتشرة جدا في طرسوس في أيام بولس الرسول.

¹ J.L.Neve., A History of Christian Thought, Vol1, The Muhlenberg Press, Philadelphia, Pa. 1964, p. 23f

وأول ما نلاحظ على الفلسفة الرواقية هو أنها ثارت ضد الفلسفة الأفلاطونية في تفرقتها بين عالم المثل (الأفكار) وعالم الظواهر. وقول الأفلاطونية بأن المرء لا يستطيع أن يدرك عالم المثل بالحواس. ولذلك نادى الفلسفة الرواقية بأن كل ما هو كائن إنما هو مادي ولا شك. ولا يوجد ما هو خلاف ذلك. إلا أنهم برغم ذلك فرقوا بين عنصرين للمادة أحدهما سلبي، والآخر ايجابي. وقالوا إن السلبي يتصف بالخشونة **coarseness** وهو المادة قبل أن تتكون شخصيتها. وقبل أن تكون لها أية صفات، فهي المادة الخام. أما العنصر الايجابي فيتصف بالدقة والرقّة **finenes** ورغم أن هذا العنصر مادي أيضا في نظر الرواقين. إلا أنهم قالوا إن العنصر الدقيق يتخلل العنصر الخشن ما يعطيه شخصيته وصفاته المختلفة هذا العنصر الإيجابي هو الفكر الفعال الذي يعطى المادة تكويّنّها، منظما اياها ومشكلا لها بفعله. وهذا ما سماه الرواقيون "الكلمة" والعلاقة القائمة بين العنصر السلبي والعنصر الايجابي في مفهوم الرواقين يشبه ما نعبّر عنه اليوم بوجه عام بالعلاقة بين المادة والروح.

ولذلك فقد اعتبروا العنصر الايجابي بأنه الروح أو " البخار النارى " الذي منه تصدر المادة أو العنصر السلبي وهو أيضا الذي إليه تعود هذه المادة. الا أنه يجب أن نكرر مرة أخرى أنه برغم استخدام الرواقين لفكرة الروح هذه. ورغم أنهم كانوا ينادون بأن العنصر الايجابي يتخلل العنصر السلبي الا أنهم كانوا يعتبرون كلا العنصرين ماديا. وعلى ذلك فالفلسفة الرواقية مادية بحتة. ولم يتردد الرواقيون في أن يقولوا بأن مادتين يمكنهما أن يشغلا حيزا واحدا في نفس الوقت. فالعنصر الايجابي في نظرهم وهو الكلمة يتخلل الحقيقة كما يتخلل العقل أو الشعور والأدراك كل الجسم البشرى . وقد وصفوا العنصر الايجابي هذا بأنه هو الله. أو الطبيعة أو روح الكون **anima mundi** أو العناية. والفلسفة الرواقية بما فيها من مادية هي فلسفة تأليه الكون أي " الحلولية " **pantheism**³ فالعلاقة القائمة بين النفس البشرية والجسد هي العلاقة التي تربط الله بالكون. فهو النار. أو الدفء الذي يملؤ الكون . إلا أنهم نادوا أيضا بأن العلاقة الكائنة والكون المادي، هي نفس العلاقة الكائنة في أجزاء الكون المختلفة. فكل انسان مثلا يتكون من الجزء السلبي والجزء الايجابي.

² Williston Walker, Revised by C.Richardson, A History of the Christian Church, N.Y.: Charles Scribner's Sons,1959 p.7

³ Neve, op, cit., p. 23.

والجزء الايجابي في كل إنسان ما هو إلا جذوة من النار مأخوذة من الله الذي هو "الكلمة" وعلى ذلك فقد نادي الرواقيون بوجود بذار الكلمة المستمدة. جميعها من الله أو التي يكون مجموعها الله.

فالنفس البشرية إذا في نظر الرواقيين هي الكلمة في الإنسان. الا أن الرواقيين فرقوا بين الكلمة في حد ذاتها كالعقل الموجود في الانسان كشيء موجود أو ما يشبه ذلك. وهذا سموه والكلمة كالعقل أو الفكر كما يعبر عن نفسه بالكلمات أو غيرها وهذا سموه ولا شك أننا نرى هنا شيئاً ما استخدمه يوحنا البشير فيما بعد، بعد أن عمد كلمات الفلسفة الرواقية بالمعمودية المسيحية أدت فكرة تأليه الكون على الطريقة الرواقية إلى شيء من الاعتقاد بما سموه "العناية".

وهي ما يمكن لنا أن نعبر عنه اليوم بوجهة النظر "القدرية". ولقد ضرب الرواقيون أمثلة الشدائد ومقابلة كافة ظروف الحياة وأحوالها بشجاعة نادرة حتى أن قال البعض إن تعاليم كالفن اللاهوتية بشأن العناية الالهية. وهي التعاليم التي تنادى بها الكنيسة المشيخية (المصلحة) الإنجيلية، وتختلف تماماً عن فكرة القضاء والقدر الإسلامية.

إنما هي تعاليم الفلسفة الرواقية في هذا الشأن بعد أن عمدها كالفن Calvin بالمعمودية المسيحية⁴. وقد نادي الرواقيون أيضاً بأن يمارس الإنسان الفضيلة لأجل الفضيلة في ذاتها. وليس لكي يحصل على السعادة. فرغم أن ممارسة الفضيلة يقود للسعادة، إلا أن الإنسان لا يجب أن يجعل السعادة في ذاتها هدفه⁵. كما أن فكرة "الكلمة" أو العقل الموجود في كل انسان قادت الرواقيين إلى بعض النتائج الهامة ومنها ما يلي:

أ- حيث أن حكمة واحدة موجودة في الكون، فهنالك قانون أو ناموس طبيعي واحد وقاعدة واحدة للسلوك لجميع البشر، والتعبير "قانون طبيعي" بذكرنا بقول الرسول بولس "لأن الأم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس. فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم" (رو 6: 14). ويجب أن نتذكر دائماً أن تعبير الناموس *lex naturae* لا تشير إلى قوانين طبيعية بمفهومنا الحديث ولكنها تشير إلى الطبيعي أفكار أخلاقية بحجة.

⁴ Ibid

⁵ Neve, op, cit., p. 23.

ب- رأي الرواقيون أيضا أن المساواة بين البشر لازمة. والفلسفة الرواقية من هذه الزاوية لها صفحات تسطع بالنور. ولقد اقتبس بولس الرسول كلمات كليثوس. Cleanthus أحد قادة الفكر الرواقي. في خطابه المشهور في آريوس باغوس إذ قال: لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. كما قال بعض شعرائكم أيضا لأننا نحن ذريته“ (أع17:28). والجزء الثاني اقتباس من اراتوس Aratus الذي قال: نحن جميعا عائلته قادت الفلسفة الرواقية بعض الأباطرة الرومان الذين اعتنقوها مثل ماركس أوريلياس Marcus Aurelius لأن منح الجنسية الرومانية للشعوب التي خضعت لحكم الرومان بل أن الفلسفة الرواقية رفعت من شأن النساء والأطفال والعبيد. وكل من كان ينظر إليه نظرة الازدراء في العصور الأولى للدولة الرومانية. إلا أنه يجب علينا أن نتذكر أنه برغم ما نادى به الفلسفة الرواقية من المساواة بين الجميع. إلا أن تلك الفلسفة كانت فلسفة طبقة بعينها من الناس هي الطبقة الأرستقراطية . وكانوا ينظرون إلى الغالبية العظمى من البشر كقوم لديهم الامكانيات. اذ لديهم العقل والفكر. ولكنهم لم يتوصلوا بعد إلى مستوى المعرفة.

ج- رأي الرواقيون - كما رأي سقراط من قبلهم - إن مشكلة الإنسان الأساسية هي الجهل. ولذلك رأوا أن حاجة الإنسان العظمى هي المعرفة. ونادوا بأنه متى عرف الإنسان الخير معرفة حقيقية فلا بد أن يختاره. ولذلك فحاجة الإنسان العظمى في نظرهم هي المعرفة.

وعلى ذلك فالخلاص في نظرهم، هو خلاص من الجهل بينما الخلاص في المسيحية هو الخلاص من الخطية. وحاجة الإنسان العظمى إما هي إلى النعمة الإلهية. إلا اننا لازلنا حتى يومنا هذا نري كثيرين من الناس ينادون " بالخلاص" بالطريقة الرواقية، فينادون بأن حاجة الإنسان الأساسية هي أن يتعلم. وبذلك فرغم الأهمية الكبيرة للمعرفة فإنهم يجهلون أو يتجاهلون مشكلة الانسان الحقيقية، ألا وهي الخطية، وطريق الخلاص الصحيح وهو النعمة-بحسب الرؤيا المسيحية طبعاً-

2-اليهودية :

من الواضح أن اليهودية هي المهد الذي ولدت فيه المسيحية وبها تأثرت. بل إن اليهودية تركت ولا شك طابعها الخاص على المسيحية. ولكي نفهم تأثير اليهودية على المسيحية في عصورها الأولى ينبغي أن نفرق بين اليهودية في فلسطين واليهودية التي كانت الشتات.

أولاً: اليهودية في فلسطين:

لا يمكننا أن ندرس هنا بالتفصيل الأمور المتعلقة بالصدوقيين والفريسيين والناموسيين والهيرودسيين والكتبة وغيرها من الجماعات المختلفة، لأن التأثيرات العظيمة لهذه الجماعات تقع في القرن الأول الميلادي، وهي ضمن دراسات العهد الجديد. ما يخرج عن نطاق دراستنا الحالية. إلا أننا نستطيع أن نقول إجمالاً أن الديانة اليهودية في فلسطين كان لها طابع خاص وكان لها تأثيرها الواضح على الفكر المسيحي في قرونه الأولى. بل ولمدة طويلة أيضاً. ذلك أن الديانة اليهودية في فلسطين تغيرت شيئا فشيئا حتى أصبحت في أيام المسيح غير ما كانت عليه قبل ذلك بقرون.⁶ فقد نادي إرميا بالعهد الجديد الذي يقطعه الرب مع شعبه حيث يجعل شريعته في داخلهم ويكتبها على قلوبهم (إر31: 31-34) وكانت الديانة اليهودية تفيض بتعبيرات العلاقة الشخصية بين المؤمن وشخص الله الكريم. تلك العلاقة التي تنم عن الثقة واليقين، مما نلمسه بوضوح في كثير من المزامير مثلاً، وإذا بالديانة تتحول، ربما تحت تأثير بعض كتابات ما بين العهدين بما فيها من تنبير على التبرير أمام الله على أساس الأعمال المختلفة التي يقوم بها الإنسان مثل الصوم والصدقة (8: 14: 9)... (طوبيت)⁷ حتى أصبحت في أيام المسيح ديانة طقوس ووصايا وتقاليد توارثوها من الآباء. وفرائض يتبعها الإنسان ويطبقها في حياته لا عن محبة لله ولكن عن خوف وفزع. بل ربما كراهية. مثل ما نلاحظه في (مر: 1-13 كو: 6-23) وغيرها. وهو لذلك يحاول دائماً أن يتحايل على الناموس وعلى الوصايا بمختلف الطرق والوسائل. ومثال هذا نراه واضحاً في تعاليم المسيح في العظة على الجبل وفي كثير من المناسبات ومن أوضحها قوله: "ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بالهيكل يلتزم. . . ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم. . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والایمان." (مت 23: 23-16). واعتبر الفريسيون أنفسهم مسئولين عن حفظ الشريعة (الناموس) وتعليمها للناس. ودفعت تعاليمهم المتمتة لأن ينطق المسيح بعبارات شديدة ضدهم. وهنالك أمثلة كثيرة تعبر عن مدى تزم الفريسيين بنجدها في المشنة (التي تعتبر شرحاً ثانياً للشريعة) والتلمود فعلى سبيل المثال نجد في الجزء الثالث من المشينة الجزء الذي اسمه نشائم وكله يرتبط بأمور تتعلق بالنساء وفيه جزء اسمه

⁶ Reinhold Seeberg, TextBook of the history of Doctrines, translated by Charles E., Hay, Voll, Grand Rapids: Baker Book House, 1958, p 30

⁷ Neve, op. cit., p. 26.

شريعة "الكتوبة" أو عقد الزواج والصداق و وثيقة الطلاق ... إلخ⁸ هناك جزء من التلمود اسمه "طهوروت" ويتعلق بشرائع التطهر وفيه أمثلة كثيرة عن ما ينجس الإنسان وما يطهره. كما أن معلمي الشريعة افترضوا أن الشريعة. التوراة. وقيمتها الرقمية (400 / 6. 200) يعني أن هنالك 611 وصية في أسفار الشريعة وتفتنت كل مدرسة في تحدى هذه الوصايا. وذهب البعض منهم إلى مناقشة ما إن كانت البيضة التي تبيضها الدجاجة يوم السبت يكون أكلها مشروعاً أم لا⁹ إلا أنه برغم أن العلاقة بين المسيحية واليهودية انفصمت في وقت مبكر إلا أن اليهودية استمرت في تأثيراتها على المسيحية وخاصة في بعض الأماكن مما استدعي عقد مجمع الكنيسة الأول في أورشليم الذي يقدم الفصل الخامس عشر من سفر الأعمال وقائه (15أع).

وفي سياق حديثنا عن تأثيرات الفكر اليهودي في فلسطين على الفكر المسيحي في القرون الأولى يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن تلك الجماعات التي كانت تسكن بعيداً عن الأضواء ولها طابعها الخاص في المعيشة والعبادة. وقد أدت اكتشاف مخطوطات البحر الميت إلى كشف النقاب عن مثل هذه الجماعات وخاصة عن جماعة قمران التي كانت تعيش في الشمال الغربي للبحر الميت ولقد امكنا أن ندرك من مخطوطات هذه المنطقة، كما ومن آثار خرائب قمران أن تلك الجماعة كانت على صلة بجماعة الأسسينيين Essenes الذين منهم فيلو ويوسيفوس وبليني الكبير الذين دونسوا كتاباتهم في القرن الأول الميلادي.¹⁰

عاشت تلك الجماعات عيشة مستقلة تشبه عيشة الرهبنة وكانوا بذلك يعبرون عن ثورتهم ضد اليهودية الرسمية التي كانت قائمة في أورشليم.¹¹ ونبذ بعضهم الزواج كما فعل الأسينيون إلا أن بعضهم سمح به كما فعلت جماعة قمران.

وضع أمثال هؤلاء تفاسيرهم الخاصة للشريعة (الناموس) وادعوا أنهم "مستنيرون" enlightened بالمقارنة مع تفاسير عصرهم التي اعتبروها تفاسيراً مضللة. وأنه لم يذكر عن هؤلاء أنهم كانوا يمارسون أكلة مقدسة مكونة من الخبز والخمر.¹² كما أنهم كانوا يمارسون أحكاماً تأديبية خاصة، واحتوى نظامهم

⁸ John Wick Bowman, The Religion of Maturity, N.Y.: Abingdon-Cokesbury, 1948, P. 149

⁹ Gonzalez, op. cit., P. 30

¹⁰ Walker, op. cit., p. 15

¹¹ جون س. ترينفر. ترجمة الدكتور عيسى الصو، قصة قمران التي لم ترو بعد. اولدنابان - نيوجيرسي 1915 ص 91++

¹² Walker, op. cit., p. 15

عدة وظائف منها "النظار" Overseers والشيوخ، وكانوا في أنتظار نبي جديد. معلم جدي. رئيس كهنة. ومملك ليأتي ويجمع شمل شعب اليهود وينصرهم على أعدائهم ويؤسس الملكوت. كما لا يخفى أن مثل تلك الجماعات كان لها تأثيرها على الكنيسة المسيحية في عصورها الأولى.¹³ ورغم أن العهد الجديد قد صمت تماما عن الإشارة إليها. إلا أن هنالك من يرون أن كتابات العهد الجديد تأثرت بفكر وكتابات جماعة قمران¹⁴ ويعتقد البعض أن يوحنا المعمدان¹⁵ وبعض تلاميذ المسيح كانوا ينتمون أولا لمثل تلك الجماعات.

إلا أننا نستطيع أن نذكر أيضا شيئين آخرين تميز بهما الفكر اليهودي في فلسطين ما كان له تأثيره على الفكر المسيحي فيما بعد وذلك فيما يتعلق بالاعتقاد بشأن الملائكة والحديث عن الحكمة وكأنها شخص من الأشخاص لا صفة من الصفات. وهناك اشارات كثيرة للملائكة في العهد القديم. الا أن يهود فلسطين في فترة ما بين العهدين أعطوا اهتماما كبيرا لموضوع الملائكة وأطلقوا الأسماء المختلفة على رؤساء الملائكة مثل ميخائيل وجبرائيل وأوريل وروفايل . . . الخ مع قديد وظيفة كل واحد من هؤلاء.¹⁶

ولا شك أن المرء يستطيع أن يلاحظ بعض التشابه بين هذه الكلمات الأخيرة وبعض التعبيرات التي استخدمها الرسول بولس مثلا في رسالته إلى كولوسي عن شخص المسيح (كوا- 15-20). ولا شك أن مثل هذه الأفكار ساعدت على بلورة الفكر المسيحي وخاصة فيما يتعلق بعقيدة الثالوث وما مرت به من مناقشات حادة ومناظرات مشهودة.¹⁷

ثانيا: اليهودية في الشتات:

رغم ما كان لليهودية في فلسطين من تأثير على الفكر المسيحي الا أن المرء يلاحظ أن اليهودية في الشتات كان لها تأثير أعظم على الفكر المسيحي في قرونه الأولى. وأهم مركز من مراكز الفكر اليهودي في الشتات كان الإسكندرية التي عاش فيها كثيرون من اليهود.

¹³ FF. Bruce, A Mind for What Matters, Grand Rapids, William B. Eerdmans Publishing Company, rr 1990, p. 49ff.

¹⁴ James C. Vanderkam, The Dead Sea Scrolls today, Grand Rapids, William B. Eerdmans Publishing Company, 1994, p. 159 ff; Gonzalez, op. cit., p. 35f

¹⁵ Ibid., p. 168

¹⁶ Seeberg, op. cit., p. 31

¹⁷ Geoffrey W. Bromily, General Editor, The International Stranded Bible Encyclopaedia, Grand

Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company, 1979, Article Angel, p. 125.

كان لترجمة العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية وهي الترجمة المعروفة باسم السبعينية Septuagint في عهد بطليموس الثاني، فيلادلفوس (685-246 ق.م) تأثير عظيم على الفكر اليهودي، ما زاد من التفاعل بينه وبين الفكر اليوناني.

- الترجمة السبعينية

وقد كان ل لترجمة السبعينية آثار بعيدة المدى على المسيحية أهمها ما يلي:

1 ترتيب أسفار العهد القديم: من المعروف أن العهد القديم في اللغة العبرية يقع في أجزاء هي التوراة (الأسفار الخمسة الأولى) والأنبياء، وهذه تقسم إلى الأنبياء الأولين والأنبياء المتأخرين. ومفهوم "النبوة" لا يعني مضمون الكتاب ولكنه يشير إلى أن كاتب السفر من الأنبياء وبذلك فإننا نجد سفر صموئيل الأول والثاني ضمن مجموعة الأنبياء باعتبار أن الكاتب أحد الأنبياء، والجزء الثالث هو الكتب "وأهم أسفار هذا الجزء هو سفر المزامير وجد اشارة لتقسيم العهد القديم بهذه الصورة في (لو64: 27)". . . . ابتداء من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب. " ومن المهم أن نلاحظ أنه بحسب الترتيب العبري للعهد القديم فان آخر أسفاره هو سفر أخبار الأيام الثاني الذي ينتهي بالكلمات: "هكذا قال كورش ملك فارس: "إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض. وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا. من منكم من جميع شعبه، الرب إلهه معه، وليصعد. (36: 23 اخ 6)

أما بعد إعادة ترتيب أسفار العهد القديم في الترجمة السبعينية، فأصبح آخر أسفار العهد القديم هو سفر ملاحى الذي ينتهي بالكلمات: ". . . لئلا أتى وأضرب الأرض بلعن".

وبسبب هذا، يعيب بعض مفكرى الديانة اليهودية على المسيحية اليوم بأن المسيحية قصدت أن ينتهي العهد القديم بنبرة "اللعة" بدلا من الدعوة المباشرة للعودة إلى أورشليم وإعادة بنائها! وإزاء هذا يجب أن ننبر على أن الكنيسة لم تقم بإعادة ترتيب الأسفار ولكنها أخذت ترتيب الأسفار عن الترجمة السبعينية التي قام بها جماعة اليهود في الإسكندرية قبل المسيحية بقرون.

2. أسماء الأسفار: تتخذ بعض أسفار العهد القديم في اللغة العبرية أسماءها من الكلمة الأولى التي ترد في السفر كالكلمة العبرية التي ترجمها بكلمة "في البدء" في بداية سفر التكوين وهي الكلمة التي جعلوها اسما لهذا السفر وهكذا. أما الترجمة السبعينية فأطلقت على أسفار العهد القديم أسماء تعبر عن مضمون السفر.

فالتكوين هو سفر البدايات : بداية الخليقة وبداية الخطية وبداية الفداء . . . إلخ. ولذلك أطلقوا عليه اسم "التكوين" أو "البدايات".

3. اقتباسات العهد الجديد من العهد القديم: كثيرا ما يلاحظ قارئ العهد الجديد أن الاقتباسات من العهد القديم تختلف اختلافا واضحا عن صياغتها الموجودة في العهد القديم، والسبب في ذلك أن كتبة العهد الجديد اقتبسوا كلمات العهد القديم من الترجمة السبعينية لا كما جدها في العهد القديم باللغة العبرية في ترجمة مباشرة منها. ولعل من أبرز الأمثلة ما جده في (عب: ٧) كلمة الملائكة" والعبارة كلها مقتبسة من (مز: 8) حيث ترد الكلمة العبرية "الوهيم" التي تعني الالهة أو الكائنات الإلهية. ويبدو أن من قاموا بالترجمة السبعينية جنبا على النطق باسم الجلالة فاستخدموا كلمة الملائكة. ما دفع بعض الترجمات لأن حذو حذو الترجمة السبعينية.

4. الثقافة الهلينية ونشر المسيحية: كانت الثقافة الهلينية سائدة في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. ولذلك كانت اللغة اليونانية هي اللغة المستخدمة في جميع الأنحاء. وكان بولس الرسول في كل رحلاته التبشيرية يبدأ بالمجامع اليهودية ولا شك وعظه كان باللغة اليونانية التي كتبها رسائله لكل الكنائس التي خاطبها. ولذلك كان من الطبيعي أن يستخدم الترجمة السبعينية في الكرازة بإنجيل المسيح.

5. كتابات الأبوكريفا: يلاحظ من يدرس الترجمة السبعينية أن من قاموا بترجمة أسفار العهد القديم من العبرية لليونانية وجدوا بعض الكتابات اليونانية التي تشمل تاريخ الشعب اليهودي أيام المكابيين وبعض الكتابات الأخرى التي فيها ما يشابه بعض كتابات العهد القديم مثل يشوع بن سيراخ ومشابهة لسفر الأمثال وغيره. ولذلك قرروا أن يضيفوا هذه الأسفار لما قاموا بترجمة العهد القديم. وترتب على ذلك أن وجدت في الترجمة السبعينية بعض الأسفار المضافة للعهد القديم المترجمة من اللغة العبرية. وهذه هي الأسفار التي عرفت فيما بعد باسم الأبوكريفا أو الأسفار القانونية الثانية كما ترغب الكنائس التقليدية في تسميتها.

ويجدر بالذكر أن الترجمة السبعينية لها مكانة كبيرة في الكنائس الأرثوذكسية بصفة خاصة.

ثالثا: فيلو السكندري

ولعلنا نجد أفضل مثال لإيضاح تأثير الفكر اليهودي في الشتات على الفكر المسيحي في قرونه الأولى

في شخصية فيلو السكندري الذي كان معاصرا للمسيح، فقد ولد فيلو سنة 60 ق.م. تقريبا ومات سنة

وأهمية فيلو فيما يتعلق بموضوع دراستنا تظهر من زاويتين: الزاوية الأولى تتصل بنظرته للكتب المقدسة (أي للعهد القديم) وتفسيرها¹⁸ والزاوية الثانية تتعلق بعقيدته بشأن الكلمة "اللوحس".

أ-الكتب المقدسة

فمن ناحية الكتب المقدسة نادى فيلو بنظرية الوحي اعتبر فيها دور كتبة الوحي وكأنه لا يزيد عن دور آلة من الآلات. فهو دور سلمي لا أكثر ولا أقل. بل زاد على ذلك بأن اعتبر أخطاء الترجمة السبعينية موحى بها من الله وغنية بالمعاني الرمزية¹⁹ واستمرت هذه النظرة للوحي في كتابات كثيرين من مفكري المسيحية.²⁰ وغني عن البيان أن هذه النظرية لا زالت في أذهان بعض المسيحيين حتى في القرن الحادي والعشرين. وربما كانت نظرة الإسلام للتزويل، إحدى المؤثرات على الفكر المسيحي في الشرق الأوسط بالإضافة إلى ما قاله فيلو. لكن الأهم من نظرية الوحي هو أن فيلو أدخل نظرية التفسير الرمزي إلى شرح العهد القديم. كان فيلو مغرما بالفلسفة الأفلاطونية وكذلك بالفلسفة الرواقية. ولذلك فتح الباب ليجد تعاليم هاتين الفلسفتين في العهد القديم وذلك باستخدام فكرة التفسير الرمزي **Allegorical Method**، وبذلك وجد فيلو أن العهد القديم على وفاق تام مع الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الرواقية وذلك عن طريق التفسير الرمزي للعهد القديم.

والتفسير الرمزي في نظر فيلو يكشف أمام المرء لا مجرد المعنى الحرفي لكلمات العهد القديم برغم أهميتها، ولكنه يزبح الستار عن المعاني المخبأة Hidden Meanings, and beyond the literal meaning of words. من وراء المعاني الحرفية المختلفة.²¹

فعلى سبيل المثال، أوضح فيلو أن قصة آدم وحواء ما هي الا أسطورة توضح خلق النفس البشرية الترايبية مع العقل والحواس والعواطف وسقوط العقل والإدراك البشري بخضوعه للمذات الحياة وبذلك أصبح مستعبدا للنظام المادي في الكون. إلا أن فيلو أوضح أيضا أن القصة تبين كيف يرجع الانسان إلى حاله

¹⁸ Gonzalez, op, cit., p. 42f.

¹⁹ Bethunne-Baker, op. cit., p. 44f.

²⁰ Ibid., p. 46.

²¹ Ibid.

الأول، وغير ذلك الكثير. إن من يدرس تاريخ تفسير الكتاب المقدس في المسيحية يستطيع أن يرى كيف فتح فيلو الباب أمام كثيرين من المفسرين المسيحيين الذين جاءوا من بعده لاستخدام طريقة التفسير الرمزي لإقحام كثير من فلسفات العصر على فكر المسيحية وقد أعطى اوريجانوس دفعة قوية للتفسير الرمزي. واستمر هذا التفسير سائدا وقويا حتى عصر الإصلاح الذي نادى بالمعنى الحرفي التاريخي²².

ب - التعليم بشأن اللوجس

أما فيما يختص بتعليم فيلو بشأن اللوجس، فلقد تأثر فيلو كثيرا بأفكار الفلسفة الأفلاطونية التي كانت سائدة في عصره. فاعتقد بأن الله سام ومنفصل عن الكون وبأنه يفوق العقل البشري transcendent mind إلا أنه اختلف معهم في تفسير علاقة الله بالخليقة. فبينما علم الأفلاطونيون بوجود كائنات إلهية ما بين الله ونفسه ومادة الكون، معتبرين أن هذه الكائنات هي المسئولة عن خلق العالم والتحكم في سيره، وجد فيلو نفسه كيهودي مضطرا لأن يرفض هذه الفكرة لأنها جعلت من هذه الكائنات الإلهية ما يؤثر على وحدانية الله وتفردته التي تقدمها الكتب المقدسة. ولذلك نادى فيلو بوجود قوات وهذه ليس لها كيان ذاتي مستقل (كما نجد في الأفلاطونية) ولكنها جوانب من عمل الله وبين هذه القوات اعتبر فيلو أن اللوجس هو أعلاها وأهمها.²³

وجدير بالملاحظة أن فيلو تكلم عن الله (ال واحد The One) ويدعوه "أبا Father" وعن اللوجس ويدعوه ابنا إلا أن العلاقة بينهما ليست واضحة.²⁴ إلا أننا نستطيع أن نلاحظ بوجه عام أن فيلو حدد للوجس عملا مزدوجا: فهو من ناحية وكىل الله في عمل الخليقة، كما أنه من الناحية الأخرى الوسيلة التي بها يدرك العقل، الله. والفكرتان تذكرنا بالفلسفة الرواقية. ولا شك أن بعض عبارات العهد القديم وبعض الإشارات لكلمة الله فيلو لهذه النظرة، كما أن التعاليم بشأن الحكمة التي حدثنا عنها من قبل كان لها ولا شك تأثير على فيلو في هذه الناحية.²⁵

²² Ibid. p. 50.

²³ Kelley, op. cit., p. 21.

²⁴ Linwood Urban, A Short History of Christian Thought, N.Y: Oxford University Press, 1995, p. 50.

²⁵ Kelley, op. cit., p. 21.

ويجب أن نلاحظ أن فيلو جعل من اللوجس (الكلمة) ما يعادل عالم الأفكار (المثل) في الفلسفة الأفلاطونية، فالعالم في نظره إنما يستمد كيانه من الله، فكما رأينا أن الإنسان فيه العقل في ذاته والعقل أو الفكر كالكلمة المنطوقة ، فهكذا "الكلمة". اللوجس. هو أول فكر في "عقل" الله وهو الذي يعطى للمادة كيانها وشخصيتها. فهو إذا حال في الكون لأنه يعطى المادة كيانها. ولكنه من زاوية أخرى منفصل ومترفع عن المادة والماديات لأنه في "عقل" الله .

ويتحدث فيلو عن الكلمة "كالابن الأول" لله ولكن هذا لا يزيد عن كونه تشبيها من التشبيهات "الكلمة" في نظر فيلو ليس له الكيان والشخصية المستقلة. إلا أننا نستطيع أن نتصور التربة الخصبة التي أعدها أفكار فيلو للحديث عن المسيح له المجد كالكلمة الذي صار جسدا.²⁶

كما أن فيلو يذكر بأن ملاك الرب الذي ظهر لآباء في العهد القديم لم يكن سوى الكلمة "اللوجس".²⁷

II-العصر ما بعد الرسولي:

أهم كتابات العصر ما بعد الرسولي

أولا: رسالة كليمنت إلى كنيسة كورنثوس

وتسمى هذه الرسالة عادة رسالة كليمنت الأولى. والذي يقرأ هذه الرسالة يلاحظ أنها مكتوبة باسم الكنيسة في روما، وموجهة منها إلى الكنيسة في كورنثوس. ويبدو من هذا الكتاب أن الكنائس المختلفة كانت تشعر بمسئولية نحو بعضها البعض باعتبار أنها "الكنيسة" أكبر وأشمل.²⁸ وكليمنت هذا هو المعروف باسم كليمنت روما *Clement of Rome* ومن المرجح أن هذه الرسالة كتبت حوالي عام 92 أو 97م. ويرى كثيرون أن كاتبها هو ثالث أسقف لروما من بعد بطرس الرسول²⁹ وتحتوي الرسالة على تعاليم أخلاقية وتعاليم عقائدية عامة. كما أنها قوى بعض التوبيخات الخاصة بسبب مشاجرة حدثت بين بعض

²⁶ Ibid., p. 22.

²⁷ Ibid.

²⁸ Cyril C. Richardson, editor, Library of Christian Classics, Vol I, Philadelphia: The Westminster Press, 1953, P. 35

²⁹ Junsto L. Gonzalez, A History of Christian Thought, Vol. I, Nashville: Abingdon, 1970, p.62; Richardson, op. cit., p. 33;

شيوخ الكنيسة (كبار السن) وبعض الأعضاء الثائرين من الشباب وبصفة خاصة ضد شخصين م من كان يطلق عليهما أسم "الأنبياء" في ذلك العصر، ارادا أن تكون لهما القيادة المطلقة في الكنيسة.³⁰ ويبدو أن الانقسامات كانت أمرا معتادا في كنيسة كورنثوس من أيام بولس الرسول (1كو: 11 +) إلا أن نا نلاحظ أنه بينما دعي بولس الرسول لنبد الخصام بناء على الروح الواحد والمعمودية الواحدة بالإيمان بالمسيح. سلك كليمنت سبيلا آخر بالدعوة للخضوع ل لأسقف الذي أقامه الله عليهم، ويدعم الكاتب وجهة نظره باقتباسات من العهد القديم، كما يشير إلى فكرة التوافق (هارموني) التي نادى بها الفلاسفة الرواقية بأنها موجودة في الله نفسه وفي كل الكون³¹ ليدعم فكرة ضرورة النظام في المجتمع المسيحي.³² وهنا نجد الربط بين العهد القديم والثقافة الهلينية. وفي هذه الرسالة تظهر بدايات التعليم بالتسليم الرسولي.³³ ويستخدم الكاتب فكرة التسليم أو التسلسل الرسولي (الخلافة الرسولية³⁴) ليقول أن الأساقفة لا يستمدون سلطتهم من الشعب ولذلك يجب الخضوع لهم، ويشير إلى الأساقفة والشمامسة (64: 5.4) وإن كان يتحدث عن الأساقفة أحيانا بأنهم "الشيوخ" ما يوضح أنه لم يكن هنالك تمييز بين الأساقفة والشيوخ. ونلمح ونحن نقرأ هذه الرسالة نبرة القيود الناموسية والالتزام بالشرعية. والتبشير على الأعمال المسماة بالأعمال الصالحة.

ولعله من الغريب أن نلاحظ أنه عندما اقتبس كليمنت من إشعيا 53 ومن مزمو 22 قدم المسيح يسوع كمثال للتواضع لا أكثر ولا أقل. ليتعلم منه شعب كورنثوس أن يتعدوا عن الخصومات والكبرياء ويعيدوا الشيوخ المستبعدين لمواقعهم!³⁵ وهنا نلاحظ كيف ابتعدت كتابات العصر ما بعد الرسولي عن الحديث عن عمل المسيح الكفاري وفضل النعمة وحديث بولس الرسول عن التبشير بالإيمان وبالنعمة.³⁶

³⁰ J. L. Neve, A History of Christian Thought, Vol I, Philadelphia: The Muhlenberg Press, 1946, p. 72.r

Roger E Olson, The Story of Christian Theology, Intervarsity Press, Downers Grove Ill. 1999, p. 43.

³¹ I Clement, 20

³² Hurbert Cunliffe-Jones Ed., A History of Christian Doctrine, Philadelphia: Fortress Press, 1978, p. 25.

³³ أحد رهبان برية القديس مقاريوس، دراسات في آباء الكنيسة. القاهرة : شبرا. دار مجلة مرفس، 2000، ص 53

³⁴ Gonzalez, op. cit., p. 64.

³⁵ رسالة كليمنت الأولى الفقرة 16

³⁶ Cunliffe-Jones, op. cit., p. 24.

ثانيا :الراعي هرماس The Shepherd of Hermas

رأى البعض أن من المرجح هذا الكتاب، كتب ما بين عام 97. 100م. إلا أنه كتب عام 14م. تقريبا.³⁷ كما أن البعض يعتقدون أن الكاتب واسمه هرماس وهو من كنيسة روما. هو هرماس الذي أهدى إليه الرسول بولس حياته في (رو 14:11). ولكن من المرجح أن هذا هرماس عاش بعد ذلك الجليل وهو أخو الأسقف بيوس أسقف روما³⁸ وجد إشارة لذلك قانون موراتوري³⁹ Muratori ولعل الموضوع الأساسي الذي انشغل به الكتاب هو ضعف الحماس الروحي والتكريس بين بعض المؤمنين، ومشكلة الخطايا التي حدثت بعد المعمودية. سيما الذين يرتدون بسبب الاضطهاد ثم يعودون للإيمان بعد ذلك⁴⁰ والذي يدرس كتاب راعي هرماس يجد نفسه أمام ثلاثة كتب:

1-الكتاب الأول ويشتمل على أربع رؤى (هنالك رؤيا خامسة، ولكن سرعان ما يتضح للقارئ أنها ليست سوي مقدمة للوصايا التالية) والرؤى تشتمل على حثّ على الثبات في الإيمان في مواجهة الاضطهاد، وتقدم الرؤيا الثالثة بصفة خاصة الكنيسة وكأنها برج عال مبنى من حجارة بعضها مأخوذ من أعماق البحر (إشارة للشهداء) ويمكن أن يفهم البحر بمعنى المعمودية (الرؤيا الثالثة: 2: 4- 1 وكذلك التشبيه التاسع (6: 12) والآخر من الأرض . وبينما يستخدم كل المأخوذ من أعماق البحر في البناء يستخدم بعض المأخوذ من الأرض ويترك الآخر .

2 -الكتاب الثاني ويجوى اثنتى عشرة وصية. والتنبير في الوصايا هو على فرصة واحدة للتوبة عن الخطيئة بعد المعمودية.

3-الكتاب الثالث ويجوى عشرة تشبيهات أو عشرة أمثال.

وفي هذا الكتاب تظهر الكنيسة في صورة سيدة عجوز بينما يظهر من يسميه هرماس ملاك التوبة في صورة راع. والكتاب كله حثّ على التوبة وحض عليها.

³⁷ Neve, op. cit., p. 35.

³⁸ Neve, op. cit., p. 35.

³⁹ معوض. المرجع أعلاه، ص 170

⁴⁰ Gonzalez, op. cit., p. 87; Mc Gifert, A.C. A History of Christian thought, vol I, N.Y.: Charles Scribneis Sons, 1954, p. 80f.

واعتربت الكنيسة المسيحية في عصورها الأولى كتاب راعي هرماس واحدا من الأسفار لهذا السبب وجد جزء منه في المخطوطة السينائية ، حتى جاء التحذير في منتصف القرن الثاني بأن لا يوضع هذا الكتاب لا بين الأنبياء ولا بين " الرسل " حيث أنه كتب مؤخرا.⁴¹ ولهذا السبب يرجح كثيرون أنه كتب حوالي سنة 140م، كما أشرنا أعلاه.

ثالثا: رسائل أغناطيوس أسقف إنطاكية

وهي سبع رسائل كتبها أغناطيوس أسقف إنطاكية وهو في طريقه للاستشهاد في روما. كان ذلك في عصر الامبراطور تراجان. واذ لم يشأ الحاكم الروماني لسوريا أن ينفذ حكم الاعدام في الأسقف أغناطيوس بإنطاكية أرسله إلى روما ليرمي للوحوش هناك. ولا شك أن الحاكم كان يبغى الشهرة لنفسه عن هذا الطريق، ولذلك أرسل أغناطيوس ومعه عشرة من الحراس عذوبه كثيرا (رسالة أغناطيوس لروما 5: 1. اختاروا طريقا ل سفر يقع في شمال مدن أفسس ومغيزيا وترالس (ترايان) ما أثار الشجون في نفسية المؤمنين في تلك البلاد لأنهم كانوا يريدون مقابلة الأسقف أغناطيوس. فاذ علموا أنه سىتوقف في سميرنا أرسلوا اليه رسلا لمقابله هناك ول لتعبير عن مشاركتهم له في سميرنا (ازمير) ثلاث رسائل إلى تلك الكنائس الثلاث.

ومن **SMIRNE سميرنا** أيضا أرسل أغناطيوس رسالة أخرى إلى الكنيسة في روما ليخبر المؤمنين هناك بقدمه. وليرجوهم أن لا يفعلوا شيئا لدى السلطات لإطلاق سراحه. وبعد سفره من سميرنا. توقف مرة أخرى في ترواس حيث كت ثلاث رسائل أخرى لكنيسة فيلادلفيا وسميرنا ولأسقف سميرنا بوليكارب . وقد كتبت هذه الرسائل جميعا ما بين عامي 110م - 115م. وحمل هذه الرسائل معان سامية وأسلوبها بشبه إلى حد كبير أسلوب يوحنا البشير: كما أن تأثير أسلوب بولس الرسول يبدو واضحا أيضا، وفيها أفكار عن المسيح وكيانه و وجوده السابق للتجسد وعن حقيقة جسده وآلامه ليدحض الغنوصية⁴² وعن الكنيسة، والوظيفة الأسقفية في الكنيسة. والدور الذي يقوم به الأسقف في سبيل وحدة الكنيسة وجنب الشقاق بها. ولا شك أن الجو الذي أحاط بالكتابة من السفر والآلام ترك بصماته الواضحة في أسلوب

⁴¹ Neve, op. cit., p. 35.

⁴² Roger E. Olson, The Story of Christian Theology, Downers Grove, . Inter Varsity Press, 1999

الكتابة. ويكشف أغناطيوس عن أعماق نفسه وصراعاته مع طموحاته (ترالس4) وتأثره بما رآه من صفات أسقف أفسس 1 وأسقف فيلادلفيا فيلادلفيا: 1.1

رابعاً: رسالة الأسقف بوليكارب أسقف سميرنا

وهذه رسالة كتبها بوليكارب إلى "المؤمنين" في فيلي حوالي عام 155م. وأهمية هذه الرسالة لا تعود لحتواها ولكن لتأكيد صحتها نسبة رسائل أغناطيوس إليه.

بينما كانت كنائس آسيا الصغرى تعيد له في الرابع عشر من شهر إبريل أي مع اليهود مهما كان ذلك اليوم من الأسبوع. إلا أنهما لم يتفقا.⁴³ وما يذكر أنه في زيارته لروما تقابل مع مارسيون ، وأطلق عليه اسم ابن إبليس البكر.⁴⁴

خامساً: استشهاد بوليكارب

وهو عبارة عن رسالة مرسله من كنيسة سميرنا تسرد وقائع استشهاد القديس بوليكارب. ولعل أهم ما يحتويه هذا الكتاب هو الإشارة إلى العادة القديمة بحفظ رفات الشهداء⁴⁵ مع تنبير واضح على تقديم العبادة لله وحده . . . ولا يمكن أن توجه لغيره أي المسيح.⁴⁶

سادساً: الخطاب المسمي رسالة برنابا

وكاتب هذه الرسالة لشخص غير معروف. وهو خلاف برنابا رفيق الرسول بولس في السفر. وهذه الرسالة مليئة بالحماس ضد اليهودية وهي تفر فرائض الناموس على اعتبار أنها تشير إلى المسيح وإلى الفداء. ولم يتفق العلماء بشأن تاريخ كتابة هذه الرسالة، فيرى البعض أنها كتبت سنة 70م. بينما يرى آخرون أنها كتبت ما بين (117 - 138م). ويتكون هذا "الخطاب" من جزئين: الجزء الأول من 1 إلى 7 عقائدي بينما الجزء الثاني من 8 إلى 21 عملي، والجزء الأول إلى حد كبير تفسير رمزي للعهد القديم كما فعل فيلو السكندري من قبل.

⁴³ معوض. المرجع السابق، ص 145

⁴⁴ Richardson, op. cit., p. 123f.

⁴⁵ استشهاد بوليكارب

⁴⁶ المرجع السابق ص 155 .

سابعا: العظة المسماة برسالة كليمنت الثانية

كتب هذه العظة شخص غير معروف. وكتبت غالبًا حوالي سنة 150م. وهي أقدم عظة بين أيدينا. وفيها تعاليم عقائدية: ولكن التنبير فيها على الناحية العملية، ويتحدث عن أعمال مختلفة كالصدقة والتوبة والصوم والصلاة⁴⁷).

ثامنا: شرح تعاليم الرب-بحسب التفسير الأبائي-

وهذا الكتاب يتكون من خمسة أجزاء وقد كتب عام 125م تقريبًا بقلم الأسقف بايياس. وهو شرح لأقوال يسوع. ولم يتبق لدينا سوى شذرات محدودة منه. لكننا نتعرف على كتابه من اقتباسات يوسابيوس القيصري واقتباسات إيريناوس وأهمية هذا الكتاب تقع في الإشارات للملك الألفى اعتمادًا على كتابات يهودية رؤوية.

تاسعا: تعاليم الرسل الاثني عشرالديداخي La Didaché

ويحوى هذا الكتاب بعض التعاليم والتوجيهات للمؤمنين بشأن الحياة المسيحية وينقسم الكتاب إلى ستة عشر قسما. الستة الأولى منها القسم الأول إلى الفقرة الثانية من القسم السادس تعليمية وهي تتحدث عن "طريقين": طريق الحياة وطريق الموت ونجد هذه الفكرة مكررة في الخطاب المسمى رسالة برنابا، كما أشرنا أعلاه. ويحتوي الجزء الثاني تعاليم بشأن العبادة وقواعد للحياة الكنسية أما الجزء الثالث (15) 11) فيشتمل على أمور تنظيمية. فمن القسم 1 (1 إلى 13) نجد تعاليم بشأن الانبياء والمقصود بذلك المبشرين المتجولين ما يلقي بعض الضوء على رسالة يوحنا الثالثة. ثم يتناول الفصل 14 مرة أخرى شيئا عن الأفخارستيا أي الشكر والحديث عن العشاء الرباني ويتناول الفصل 15 شيئا عن الأساقفة والشمامسة أما الفصل الأخير فيتحدث عن نهاية العالم ولزوم الاستعداد لذلك. ويرجح العلماء أن هذا الكتاب. أي كتاب تعاليم الاثني عشر. كُتب خلال السنوات العشر الأولى من القرن الثاني الميلادي.

ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الكتاب ليس هو الكتاب المعروف باسم الديداخي.⁴⁸

⁴⁷ II Clement 16.

⁴⁸ وليم سليمان فلادة. تعاليم الرسل الدسقولية طبعة ثانية القاهرة دار الثقافة، ١٩٨٩، وكذلك الفس مرفس داود الدسقولية